الجامعة	الأنبار
الكلية	التربية للبنات
القسم	التأريخ
المرحلة	الثالثة
اسم المادة باللغة العربية	فلسفة التأريخ
اسم المادة باللغة الانكليزية	Philosophy of History
اسم التدريسي	د.فاطمة سامي شهاب أحمد
عنوان المحاضرة باللغة العربية	العلاقة بين العلم والفلسفة والتاريخ
عنوان المحاضرة باللغة الإنكليزية	The Relationship Between Science philosophy and History
رقم المحاضرة	الثالثة
المصادر او المراجع	المفصل في فلسفة التاريخ هاشم الملاح

المحاضرة الثالثة:

العلاقة بين العلم والفلسفة والتاريخ The Relationship Between Science philosophy and History

إن العلاقة بين العلم والتاريخ والفلسفة هي علاقة تفاعلية يمكن التعرف على طبيعتها من خلال التعرف على كل طرف من أطرافها:

- العلم:

هو الإدراك الحاصل بالدليل الشامل لليقين الجازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب. ويترتب عليه إدراك الشيء على حقيقته إدراكاً جازماً.

ويعرف كذلك بأنه نشاط عقلي ومعرفة تراكمية، تتوخى الكشف عن الظواهر المادية وغير المادية في العالم.

الفلسفة:

تعرف الفلسفة تعريفاً أبجدياً من خلال ذات التعريف الذي عرفها به اليونان على أنها (حب للحكمة)، وهو تعريف مشتق من كلمة "philo" التي تعني "حب" و كلمة "Sophia" التي تعني "الحكمة"، ثم تطور التعريف بها حتى وصل إلى أنها "فنٌ للتفسير" وهو التعريف الذي عرفها به الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" في القرن التاسع عشر. والفلسفة في مدلولها العلمي العام تعني الاسترشاد بنظرة صحيحة إلى العالم تمثل مجمل المفاهيم عن الحياة في أبعادها الشاملة أو ظواهرها وأحداثها كلاً على حدة، كما تبدو من خلال نظرة واحدة أحياناً.

ومن هنا يمكن القول بأن الفلسفة في علاقتها الجدلية بموضوعة التاريخ هي إجابة عن السؤال "كيف؟"، في حين يكون التاريخ وعمل المؤرخ واقعا تحت الإجابة عن السؤال "متى؟".

التاريخ:

لغةً:

تدل كلمة التاريخ أو التأريخ في اللغة العربية على الإعلام بالوقت، وهو مذهب السخاوي في تعريفه. والتاريخ كذلك تعريف بالوقت والتوريخ والتاريخ مثله فيقال أرخت وورخت، وهذا مذهب الجوهري. أما المقريزي فيعرف التاريخ بأنه إخبار عما حدث في العالم الماضي،وهو مشتق من الأرخ- بفتح الهمزة وكسرها- وهو صغار الأنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث الولد.

اصطلاحا:

عرَّفه ابن خلدون بقوله: "التاريخ خبرٌ عن الاجتماع الإنسانيِّ الذي هو عُمْران العالم، وما يَعرِض لذلك العمرانِ من الأحوال؛ مثل التوحُّش والتآنس، والعصبيَّات، وأصناف التغلُّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعايش، والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران من الأحوال"، ويعرفه "ابن خلدون" أيضاً بأنه: (فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية. إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا.).

كما يمكن أن تدل مفردة التاريخ على بلوغ الصفات مديات متقدمة جدا كما يقال عن الكرم الشديد للرجل بأن فلان غاية في الكرم، ومثله يقال عن الوفاء وسائر الصفات.

والتاريخ عند اغلب المؤرخين هو بحث ودراسة واستقصاء لأخبار الناس وحركتهم, والنظر في أحوالهم الماضية, أما موضوعه فهو الحياة الإنسانية في امتدادها الزمني على الأرض منذ بدء الخلق إلى اليوم, وما يحكم هذه الحياة من عوامل وأسباب.

وعلى الرغم مما للوثيقة التاريخية من أهمية إلا أنها لا يجب أن تمثل مكانة تقترب من حدود التقديس، وذلك لكي لا تتعطل ملكة النقد التي هي من صميم مهام الوعي البشري، ولعل قضية خطيب الثورة الفرنسية "ميرابو"* تؤشر بوضوح شديد ضرورة تمحيص الوثائق ونقدها من خلال المنهج التاريخي.

التفاعل بين العلم والتاريخ:

تميز مجال "الإبستمولوجيا"** بإثارة عدة قضايا منهجية حول مدى إمكانية قيام علوم إنسانية ترقى معارفها إلى مستوى موضوعية ودقة الحقائق التي أنتجتها العلوم الطبيعية أو"الصرفة".فقد شكلت مسألة "الموضوعية" وجها بارزا لهذه الإشكالية، وخصوصا في مجال المعرفة

***سياسي فرنسي، وخطيب الثورة الفرنسية البليغ المفوَّه. مات سنة 1791، ودفن في مقبرة العظماء، ثم ما لبث قبره أن نبش وسحل جثمانه من ثم، حين كشفت مذكرات سرية له عن لعبه دورا مزدوجا، وأنه كان يتخاطب مع الملك لويس السادس عشر.**

****مبحث فلسفي أساسي يتعلق بنظرية المعرفة بشكل عام.**

التاريخية.فالتاريخ، بوصفه معرفة تنصب على ماض زال وانتهى،مثل ميدانا مناسبا لطرح هذه المسألة، إما بهدف إثبات تعذر قيام معرفة علمية بالتاريخ بسبب انتفاء شرط الموضوعية، أو بغاية التأكيد على خصوصية تفرض اعتماد معايير أخرى تناسب طبيعة المجال وتوفر،بالتالي،العلمية المنشودة للمعرفة التاريخية.

وفي هذا السياق يندرج موقف "ماكس فيبر" (1846 – 1920) الذي يعتبر أن الحوادث التاريخية- التي تشكل موضوع عمل المؤرخ- تتميز بالكثافة من جهة،الشيء الذي يطرح صعوبة الإحاطة بها مهما بلغ المنهج المعتمد من صرامة.ومن جهة أخرى،تمثل وقائع الماضي حوادث متفردة لا تسمح بالتوصل إلى قوانين ثابتة كما هو الشأن بالنسبة للعلوم الصرفة (مشكلة انتفاء تكرار الحوادث وتعذر التعميم).

وإضافة إلى هذه الصعوبات الموضوعية النابعة من طبيعة الواقع التاريخي، يؤكد" ماكس فيبر" على أهمية البعد الإيديولوجي***- كعامل ذاتي – في توجيه عملية التفسير التي يقدمها المؤرخ للتاريخ، وذلك من خلال انتقائه للعوامل أو الأسباب المفسرة لحوادث الماضي، حيث تتدخل القيم والأحكام الذاتية في إعطاء الأولوية لعامل على آخر.وهكذا ينتهي هذا التصور إلى اعتبار أن المعرفة التاريخية لا يمكن أن تكون تامة فضلا عن امتزاجها بذاتية المؤرخ أو نظرته الخاصة.

ويواجه الباحثون، بصدد تحديد طبيعة وقيمة المعرفة التاريخية،أطروحات تدافع عن إمكانية بناء معرفة علمية بالتاريخ من خلال التأكيد على أن الصعوبات الموضوعية والذاتية التي تكشف عن الطابع المحدود والنسبي لهذه المعرفة لا تمثل مدعاة للطعن في مشروعية المعرفة التاريخية بقدر ما تكشف عن الخصوصية التي تميز هذا المجال.

وفي نفس الاتجاه، يركز"ريمون آرون"(1983/1905) على عائق المسافة الزمنية التي تفصل الماضي الذي يراد استعادته عن الحاضر المعيش. فالواقع الذي نعيشه ندركه بطريقة تلقائية؛ أما الماضي الذي لم نعشه فيتعذر فهم دلالات أحداثه. وينجم عن ذلك أن المعرفة التاريخية تظل صعبة المنال في شموليتها،ولا يمكن إلا أن تكون نسبية محدودة.كما أن جدلية الماضي والحاضر هذه قد تجعل المؤرخ متأثرا بواقعه الاجتماعي في فهم دلالات الماضي (العامل الإيديولوجي). ويقول"آرون" عن ذلك: (لم تعد المعرفة بالتاريخ قائمة علىقص ما حدث نقلا عن وثائق مخطوطة، ولكنها قائمة في ما نريد أن نكتشفه).

ومع المفكر "بول ريكور"(1913 - 2005)نواجه طرحا آخر يحاول إضفاء المشروعية العلمية على التاريخ والذي يؤكد على "الخصوصية" التي تطبع المعرفة التاريخية بوصفها معرفة لا تنصب على معطيات جاهزة مثل العلوم الحقة، بل هي معرفة يتم بناؤها اعتمادا على منهج خاص يقوم على استنطاق مخلفات الماضي وتحويلها إلى وثائق "دالة" بناء على منهج دقيق يمارس من خلاله المؤرخ الملاحظة والنقد.وهذه الممارسة المنهجية لا تختلف،من حيث قيمتها عن المنهج المعتمد في العلوم الحقة، مع تميزها بخصوصية توجبها طبيعة الظاهرة التاريخية.

*****نسق من الأفكار موظف لخدمة مبادئ معينة تؤمن بها شرائح معينة على المستوى السياسي أو الاجتماعي، وتقع في قمة هرم المؤسسة الحاكمة، وغالبا ما تندرج تحت جلباب القداسة إن كانت على المستوى العقائدي، أو تندرج كأهمية قصوى كونها مبادئ يجب الإيمان بها على المستوى السياسي.**

أما عن الموضوعية المتوخاة في المعرفة العلمية، فيؤكد "بول ريكور" على أن خصوصية موضوع التاريخ ومنهجه تقتضي النظر إلى المعرفة التاريخية من خلال معيار لا يخضع،بشكل مطلق،للمعنى المتعارف عليه في العلوم الحقة حول مبدأ الموضوعية. فالمعرفة التاريخية لا تخلو من الذاتية التي تتمثل في ترجيح المؤرخ لعامل مفسر على آخر. ومن ثم، بدل التمسك بمطلب الموضوعية التامة التي تضفي على المعرفة سمة الإطلاق، ينبغي اعتبار المعرفة التاريخية نسبية يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي. والمعرفة التاريخية ينبغي لها أن تنصرف عن الرغبة في الموضوعية إلى البحث عن ذاتية "جيدة" تسعى إلى جعل التاريخ معرفة ممكنة.

وعـموما، يتضـــح أن المـــعرفة التاريخية قـد لا تكون تـــامة وموضوعية بالـــنظر إلى العـــوائـــق المنهجية - الموضوعية والذاتية - التي تؤكد عليها التصورات السابقة.غير أن ذلك لا ينفي كونها معرفة لا تخلو من شروط العلمية بالنظر إلى الخصوصية التي تميز موضوع ومنهج التاريخ.

ولما كان التاريخ من خلال تلك المحاولات الرامية لفك تلكم الإشكاليات، متعلقا بماضي الإنسان فإن "استحضار" هذا الماضي يعني دراسة التاريخ، التي تعبر عن "الوعي بالتاريخ" من خلال وسائل المعرفة التاريخية، وأبسط تلك الوسائل هي وسيلة "السرد التاريخي" التي تقوم بدورها على "المنهج التاريخي Historical method" والذييعني عملية الفحص والتحليل الدقيق لسجلات الماضي ومخلفاته، ودراسة وتفسير الوثائق. ويعتمد المؤرخ وفقاً لهذا على "المنطق" و"الوثائق". وعندما يطرح السؤال الذي يستفسر عن علاقة الوثيقة بالمنطق فإن الإجابة تكون قائمة على النظر إلى التاريخ على إنه وثائق تتعلق بجزء محدود من الماضي، ولا يمكن أن تستجمع أجزاؤه إلا من خلال المنطق الذي هو عبارة عن مجموعة العلاقات التي تربط بين عدة قضايا، وتكون محكومة حكما ضرورياً مع بعضها البعض. ومن شأن الاستعانة بالمنهج التاريخي هو محاولة الارتقاء بالتاريخ إلى مرتبة العلوم.

التفاعل بين التاريخ والفلسفة:

لقد تطور مفهوم فلسفة التاريخ في الدراساتالحديثة فأصبح يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ:

الجانب الأول: يجعلها دراسة لمناهج البحث، أي الطرق والأساليب المستعملة للتحقق منالوقائع التاريخية، وهذه الدراسة تتضمن في جملتها الفحص الدقيق لمنهجية المؤرخ،وهي هنا تقوم بدور الناقد الأعلى، وهذا الفرع يطلقعليه الفلسفة النقدية للتاريخ.
الجانب الثاني فيتمثل في تقديم وجهةنظر عن مسار التاريخ ككل، وهو ما يطلق عليه الفلسفة التأملية للتاريخ, والتيتهتم بالأسباب المؤدية إلى ظهور أنماط معينة في حركة التاريخ، عن طريق اكتشاف القوانين المتحكمة في ذلك والتنبؤ على أساسها بالمستقبل, وهذه النظرة التأمليةللتاريخ تمثل الدراسة التي يقوم بها المؤرخ للعصور السابقة بهدف استخلاص القوانينالتي تحكم سير الحياة والإنسان والمجتمع والدولةوالحضارة.
أما عن طبيعة العلاقة بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ، فيمكن القول بأنها تفاعلية، ويمكن أن نقف على ملامحها العامة من خلال تأثير طبيعة كل من المؤرخ والفيلسوف على مدى دقة عمل كل

منهما. فحيث يكون عمل المؤرخ محصوراً في تدوين الأحداث وتنسيق الوثائق، فإن ذلك قد يؤدي إلى استغراق المؤرخ في الوثيقة نفسها ومن المحتمل أن يؤدي ذلك إلى الغرق في سجلات الماضي والشعور بالانتماء إليها، الأمر الذي قد يفقد المؤرخ السيطرة على طريقة التعامل مع الحاضر، هذا من جهة، وعندمايكون عمل الفيلسوف منحصراً في إيجاد علل وغايات نهائية للتاريخ، فهو هنا لا يكون بمنأى عن التحليق بعيداً أرض الواقع ومحاولة إحاطة الواقع بمقولات قبلية مسبقة يحاول الفيلسوف تفسير التاريخ وفقاً لها، وهذا من جهة أخرى،كما إن فلسفة التاريخ لم توجد لأنها تعوض قصور كل من الفلسفة والتاريخ فحسب، وإنما لأنها تلبي للإنسان حاجة فكرية في بعض المراحل التي يمر بها، فكلما انتاب الإنسان في حاضره جزع على مصيره في المستقبل لجأ إلى الماضي يستحضره. وعلى هذا فيمكن أن نلاحظ أن عصور الكوارث والنكبات في التاريخ الإنساني كانت دائماً باعثاً إلى التفكير في الماضي وفي المصير، ومثيرة للاهتمام بتفسير التاريخ وتعليله. فقد حاول القديس "أوغسطين" أن يفسر التاريخ وهو يشاهد تداعي العالم القديم وسقوط روما،فوضع نظرية العناية الإلهية. وبلغت الحضارة الإسلامية مرحلة تدهورها فألهم ذلك "ابن خلدون" إلى أن يضع أول نظرية في فلسفة التاريخ وهي نظرية "التعاقب الدوري للحضارات". وحينما وطئت أقدام الإمبراطور "نابليون بونابرت" الأراضي الألمانية أمام نظر الفيلسوف الألماني "هيجل" صدرت عبارته الشهيرة (إن بومة منيرفا لا تحلق إلا عند الغسق)، وخرج بنظريته المثالية الجدلية الشهيرة في فلسفة التاريخ. وجزع كل من "توينبي" و "إشبنجلر" على مصير الحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى فكانت نظرية الأول تدور حول عامل التحدي والاستجابة، فيما كانت نظرية الأخير تدور حول المصير.